نسمات الأدب

رصيدك ليوم الحساب

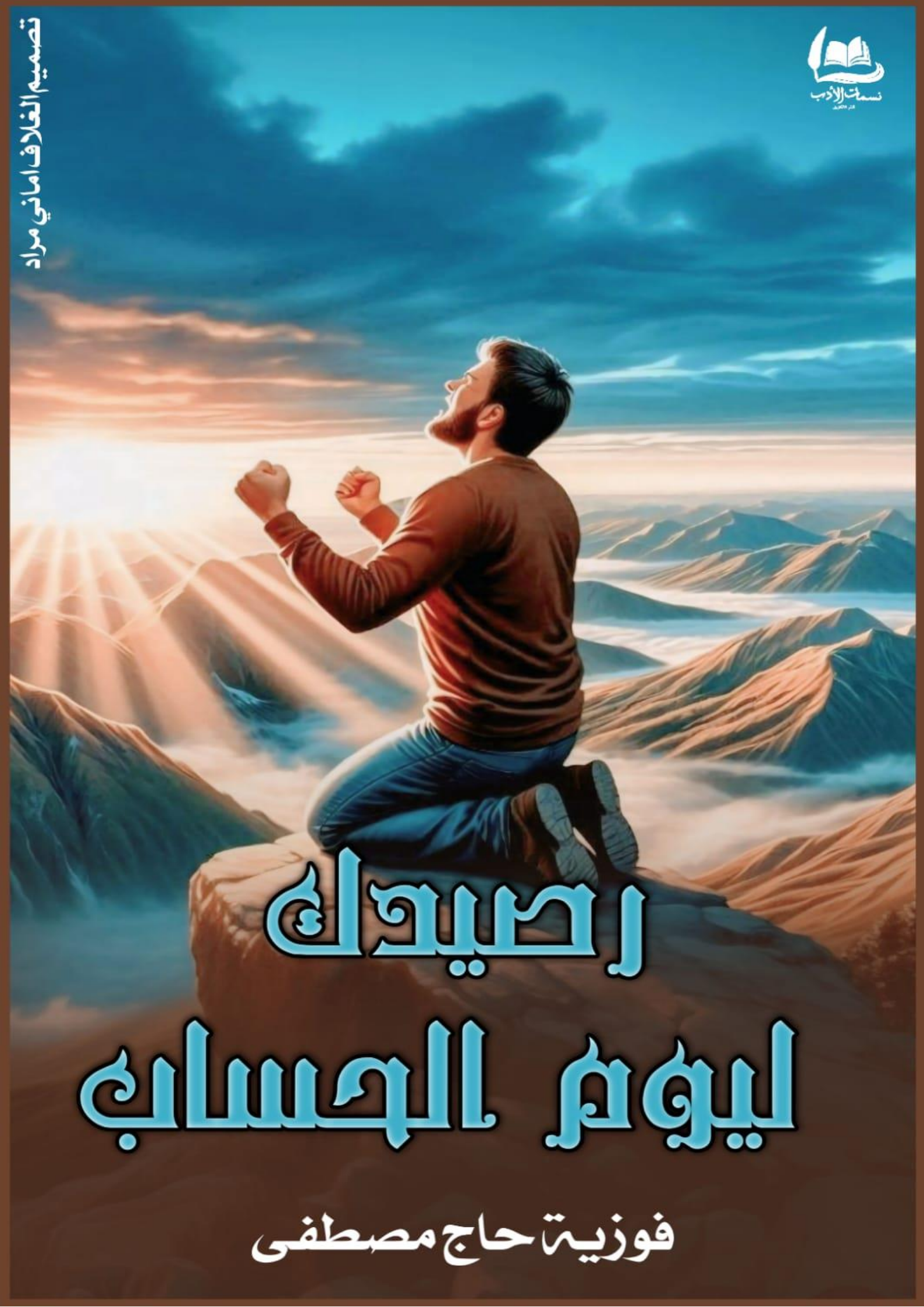

فوزية حاج مصطفى

تصميم الغلاف اماني مراد

رصيدك ليوم الحساب

فوزية الحاج مصطفى

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : رصيدك يوم الحساب

المؤلف : فوزية حاج مصطفي

غلاف الكتاب : أمانى مراد

موك اب الكتاب : همس الجنة

تنسيق داخلي : منى مجدى

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إهداء

إلـــى كـــل مـــن يتـــوق قلبـــه للهدايـــة ، إلـــى أولئـــك الـــذين تـــاهوا يومًـــا فـــي درب الحيـــاة ثـــم وجـــدوا النـــور مـــن جديـــد ، إلـــى مـــن يحمل في قلبه الأمل رغم العثرات...

أهـــدي هـــذه الكلمـــات لكـــل روح تعبـــت مـــن الســـير وحيـــدة ، تبحـــث عـــن معنـــى ، وعـــن يقين يعيد لها الحياة.

وأخيـــرًا ، إلـــى مـــن يقـــرأ هـــذه الصـــفحات أســـأل الله أن تكـــون كلماتهـــا بلســـماً لكـــم ونورًا يضيء قلوبكم.

مقدمة

في خضم الحياة وضجيجها ، نتساءل أحيانًا :

-ما الذي يُشكل رصيدنا الحقيقي يوم الحساب؟ هل هو المال والنجاح ، أم ذلك النور الذي يغمر قلوبنا عندما نسير على طريق الهداية؟

هذه الرواية ليست مجرد قصة ، إنها رحلة نفس تعثرت في ظلام الخطايا ، ثم وجدت في عتمة الليل بصيص أمل قادها للنور.

رحلة تأمل فيها البطل في ماضيه وتصارع مع حاضره ، وتساءل عن هدفه في الحياة ، محاولًا أن يعيد ترتيب حساباته ، ليكتشف أن الرصيد الأعظم

لـــيس فيمـــا نجمعـــه ، بـــل فيمـــا نزرعـــه مـــن خيرونسقيه بدموع التوبة.

إلـــى كـــل قـــارئ يبحـــث عـــن معنـــى ، إلـــى مـــن تـــاق قلبـــه للســـير فـــي طريـــق الحـــق ، أهـــديك هذه الصفحات.

علّهـــا تكـــون لـــك ضـــياءً ينيـــر خطواتـــك وحكايـــة تـــذكرنا جميعًـــا أن فـــي قلوبنـــا كنـــوزًا لا تقـــدر بـــثمن ، تشـــعّ بصـــدقها يومـــا أمام الله.

رحلة علي

اســـمي "علـــي" ، وُلِـــدت فـــي حـــيّ شـــعبي تغمـــره ضوضـــاء الأطفـــال وصـــوت الأذان الذي يدوي من المسجد القريب.

عشـــت حيـــاتي فـــي كنـــف عـــائلتي المتواضـــعة ، فـــي منـــزل بســـيط حيـــث كانـــت والـــدتي مكرَّســـةً لنـــا ، ترعـــى البيـــت بحنـــان وتـــزرع فـــي قلبـــي دروسًـــا عـــن القناعـــة والبساطة.

فـــي عينيهـــا ، كنـــت أرى الحلـــم ، حلمًـــا بـــأن أســـير فـــي طريـــق النجـــاح ، حـــاملًا قـــيم والـــدي وجهـــوده التـــي بـــذلها ليصـــنع لنـــا حياة كريمة.

فـــي أيـــام طفـــولتي ، كنـــت أجلـــس معهـــا فـــي المطـــبخ وهـــي تحضّـــر الطعـــام ، وكـــان

صـــوتها النـــاعم يرويـنـــي بحكايـــات عـــن الصبر والأمل.

كنـــت أســـتمع ، وفـــي داخلـــي رغبـــة بـــأن أحقـــق شـــيئًا كبيـــرًا يومًـــا مـــا ، شـــيئًا يُشـــعر والـــدتي بـــالفخر ويُخرجنـــا مـــن دائـــرة الفقـــر التي أحاطتنا منذ ولادتي.

فـــي المدرســـة كنـــت أجتهـــد وأتفـــوق ، لكـــن الـــدافع لـــم يكـــن حـــب العلـــم بقـــدر مـــا كـــان هروبًا من واقعنا القاسي.

كنـــت أعتقـــد أن النجـــاح ســـيمنحني القـــوة والمكانـــة ، فصـــرتُ أرتـــدي أفضـــل الثيـــاب أحـــاول جاهـــداً أن أبـــدو مثـــل أولئـــك الـــذين يعيشون في الأحياء الراقية.

ومـــع مـــرور الوقـــت ، تحولـــت علاقتـــي بالأصـــدقاء إلـــى علاقـــات ســـطحية ، مجـــرد

واجهة اجتماعية ، بينما كان قلبي يبحث عن شيء أعمق.

استمرت حياتي على هذا النحو حتى حدث الحادث الذي كسر جدار زيفي.

كان يوماً مشمساً وكنت أقود سيارتي بسرعة شعورًا بالانتصار يغمرني.

كأنني انتزعتُ النجاح من براثن الحياة.

وفجأة ، حدث ما لم يكن بالحسبان انفجر إطار السيارة ، ووجدت نفسي بين الحياة والموت في لحظة واحدة.

***

استيقظت في المستشفى ، جسدي مجروح ونفسي مثقلة بثقل عظيم.

حولي أمي تجلس بصمت ، عيناها تتأملانني بحزن كأنها تقول:

"هل هذا هو ما كنت تسعى له؟".

جلست معي مربية صغيرة تعمل في المستشفى ، وبدت في حديثها حكمة عميقة:

-"كل لحظة تمر هي رصيدك ليوم الحساب ، ماذا تريد أن تضيف إلى رصيدك؟"

كانت كلماتها كضوء اخترق عتمة قلبي فأيقظتني من سبات طويل.

بعد خروجي من المستشفى ، شعرتُ أن كل شيء في حياتي فقد معناه.

أصبحتُ غريبًا عن العالم الذي صنعته بيدي ، وبدأتُ رحلة جديدة ، رحلة صعبة مليئة بالأسئلة والمراجعة الذاتية.

لم يكن من السهل أن أعترف أمام نفسي

بـــأنني كنـــت أســـير فـــي طريـــق خـــالٍ مـــن المعنـــى ، طريـــق لا يقـــودني إلا إلـــى مزيـــد من الفراغ.

***

كنـــت أذهـــب إلـــى المســـاجد ، أجلـــس فـــي الزاويـــــة ، وأســـــتمع إلـــــى الخطـــــب والأحاديث.

كـــل كلمـــة كانـــت تعمّـــق فـــي نفســـي معنـــى المغفرة والأمل.

وذات يـيـــوم اقتـــرب منـــي رجـــل مســـنّ يجلـــس فـــي ركـــن المســـجد ، أطلـــق عليـــه الجميـــع لقب "الشيخ أحمد".

كـــان يملـــك مـــن الهـــدوء مـــا جعلنـــي أشـــعر وكأنني أمام بحر من السكينة.

تحدثنا طويلاً ، وأخبرني عن قصص من حياته ، عن صراعاته وتجاربه.

قال لي:

-"يا بني ، لا أحد يبدأ حياته بالنقاء الكامل.

نحن البشر نسعى ، ونسقط ، وننهض.

المهم أن نتعلم كيف نضيف لحياتنا قيمة كيف نجعل لحياتنا معنى حقيقيًا."

كلماته كانت ترشدني في دربي الجديد وتشعرني بأن رحلتي هذه قد تكون وسيلتي للتكفير عن أخطائي.

***

عدت إلى حياتي القديمة ، لكن لم يكن شيئاً كما كان.

أصـــدقائي رأونـــي كغريـــب ، لـــم يســـتوعبوا التغيير الذي مررت به.

فـــي أعيـــنهم ، كنـــت مجـــرد شـــخص يـــتقمص دور الزاهـــد ، وبـــدأت الســـخرية تتصـــاعد.

-"أتعتقـــد أن التغييـــر ســـهل ويحـــدث بـــين ليلة وضحاها؟"

كـــانوا يســـخرون مـــن حماســـتي للتغييـــر من تحولي المفاجئ.

فـــي تلـــك اللحظـــات ، كنـــت أشـــعر بصـــعوبة الصبر على مواجهتهم.

لكننـــي قـــررت أن أثبـــت لهـــم ، وأولاً لنفســـي أن هذا التغيير حقيقي.

لـــم يكـــن الأمـــر مجـــرد نـــزوة أو ردة فعـــل للحـــادث ، كـــان بدايـــة عهـــد جديـــد مـــع نفســـي ومع خالقي.

كانت حياتي تتحول من الداخل ، وأشعر بأنني أتحرر من قيود الماضي شيئًا فشيئًا ، لكن الثمن كان غاليًا.

لم أكن أواجه الآخرين فحسب ، بل كنت في صراع دائم مع نفسي ، مع الشاب الذي كنت عليه ، ومع كل تلك الأفكار والأحلام التي بنيت عليها حياتي لسنوات.

***

عندما عدت إلى الحي ، لم تكن هناك ترحيبات ، بل نظرات ملأها الاستفهام والتعجب.

كان الأصدقاء القدامى يسألون عن سر اختفائي ، وعن تلك اللمحة الغريبة التي باتت تملأ عينيّ.

عنـــدما ألتقـــي بهـــم ، تكـــون أحـــاديثهم دائمًـــا ساخرة ، وكأنني عدت غريبًا.

يتحـــدثون عـــن الأيـــام التـــي قضـــيناها معًـــا عـــن الليـــالي التـــي نســـهر فيهـــا بحثًـــا عـــن الترفيه والضحكات العابرة.

لكننـــي كنـــت أشـــعر كـــأن تلـــك الـــذكريات تتلاشـــى ، وتصـــبح مجـــرد مشـــاهد قديمـــة على شاشة باهتة.

***

فـــي أحـــد الأيـــام ، جلســـنا معًـــا فـــي المقهـــى القديم.

الجميـــع كـــان يضـــحك ، وأنـــا كنـــت أســـتمع بصـــمت مســـتمعًا إلـــى ضـــحكاتهم العاليـــة وأحـــاديثهم عـــن الحيـــاة التـــي باتـــت فـــي نظري فارغة.

أحدهم وجّه إليّ نظرة مريبة وسألني:

-"علي، يبدو أنك أصبحت رجلاً متديّنًا الآن! ، هل ستقضي بقية حياتك في المسجد وتترك كل شيء؟".

كانت كلماته مثل السهم الذي استقر في قلبي ومع ذلك لم أجد نفسي أجيب برد قوي أو كلمة لاذعة.

كنت أعلم أن الرد على السخرية لا يعني شيئًا ، كنت أبحث عن قبول داخلي عن رضا نفسي وراحة ضميري.

مع كل سخرية كنت أشعر بمزيد من الإصرار ، إصرار على مواصلة طريقي رغم كل شيء.

نعم ، كان هناك خوف داخلي من أن أضعف ، أو أن أعود إلى سابق عهدي. كنت أقاوم ، لكن لم يكن الأمر سهلًا.

***

وفي إحدى تلك الليالي التي قضاها الجميع في اللهو ، كنت أقف على نافذة غرفتي ، أنظر إلى أضواء الحي الذي يملأه الصخب.

تلك اللحظات كانت تعكس لي الفرق الشاسع بين ما كنت أبحث عنه سابقًا وما أبحث عنه الآن.

سألت نفسي: "هل سيقبلني الله بعد كل ما فعلت؟ هل سأكون يومًا ما على قدر الثقة التي وضعتها والدتي فيّ منذ الطفولة؟"

بـــدأت أشـــعر بـــأن الطريـــق إلـــى الله لـــيس مجـــرد اعتـــراف بالخطايـــا أو تقلبـــات مفاجئـــة ، إنـــه رحلـــة تحتـــاج إلـــى صـــبر وتواضع.

بـــدأت أفهـــم معنـــى أن نكـــون صـــادقين مـــع أنفســـنا ، وأن نحـــاول أن نبنـــي حيـــاة تكـــون رصيدًا نافعًا ليوم الحساب.

كنـــت أقـــرأ الكتـــب التـــي تـــروي قصـــص الأنبيـــاء ، وكيـــف واجهـــوا صـــعوبات قاســـية فـــي ســـبيل نشـــر الخيـــر ، وكنـــت أجـــد فيهـــا عونًـــا لـــي فـــي رحلتـــي. بـــدأت أســـتلهم مـــن تلـــك القصـــص صـــبرًا أكبـــر، وتواضـــعًا نحـــو فهم أعمق للحياة.

كنـــت أدرك أننـــي مـــا زلـــت فـــي بدايـــة االطريـــق وأن علـــيّ أن أتحلـــى بالصـــبر

حتى وإن واجهت السخرية والرفض من المجتمع.

***

وفي كل يوم ، كنت أكتشف جانبًا جديدًا من نفسي.

كان عليّ أن أتجاوز نظرات الآخرين وأن أرتفع فوق تلميحاتهم ، لأثبت لنفسي أولاً أن هذا التغيير الذي بدأ في داخلي ليس زائفًا ، بل هو حقيقة نابعة من رغبة صادقة.

في تلك الأيام العصيبة ، كانت قراءة قصص الأنبياء تعيد لي الإيمان وتزرع في قلبي الأمل.

لم تكن مجرد قصص دينية ، بل كانت مصدرًا لرحمة الله ، ولرسائل تحمل في

طياتهـــا دروسًـــا عـــن الصـــبر ، والإصـــرار والسعي للتغيير.

بـــدأت أشـــعر بـــأن هـــذه القصـــص ليســـت بعيـــدة عـــن حياتنـــا ، بـــل هـــي درب يُنيـــر لنـــا الطريق في أحلك الأوقات.

***

ذات يـــوم ، كنـــت أقـــرأ قصـــة يوســـف عليـــه السلام.

كيـــف كـــان صـــغيرًا بـــين إخوتـــه ، وكيـــف تعـــرض للحســـد والظلـــم عنـــدما ألقـــاه إخوتـــه فـــي البئـــر ، ظنًّـــا مـــنهم أنهـــم ســـيزيلونه مـــن حياتهم للأبد.

لكـــن الله رعـــى يوســـف ، ولـــم يتركـــه وحيـــدًا.

وجدتـــه يتنقـــل مـــن محنـــة إلـــى أخـــرى ، لكـــن

الله كان ينصره في كل مرة حتى جعله عزيز مصر.

تأملت في هذا الصبر العميق الذي واجه به يوسف كل تلك المصاعب.

علمتني هذه القصة أن أتحلى بالصبر مهما كانت العقبات ، وأن أؤمن بأن الله معي حتى وإن ابتعد عني الجميع.

قصة أيوب كانت تذكيرًا لي بقدرة الإنسان على تحمل المحن.

عندما كان يواجه المرض والفقر ، لم يتوقف عن شكر الله وحمده.

ظل صابرًا ، مؤمنًا أن الفرج سيأتي.

تعلمت من قصة أيوب أن الصبر ليس مجرد انتظار ، بل هو إيمان بالله وتوكل عليه رغم الألم.

علمني أيوب أن أنظر إلى الصعوبات كفرصة للتقرب من الله بدلاً من الاستسلام لها.

كلما شعرت بالضعف ، كنت أستحضر صبره وأحاول أن أتحلى ببعض من تلك العزيمة.

***

كانت قصة موسى مصدرًا آخر للقوة.

نشأ في قصر فرعون ، ذلك الطاغية الذي أراد أن يقتل جميع أبناء بني إسرائيل.

لكنه كبر في ظل عدوه ثم نجا بقوة الله وعاد ليدعو فرعون إلى الحق.

كـــان موســـى يتحـــدث بشـــجاعة ، ورغـــم التحـــديات التـــي واجههـــا ، لـــم يتخـــلَّ عـــن دعوته ولا عن إيمانه.

تعلمـــت منـــه أن لا أخـــاف مـــن نظـــرات الآخرين وانتقاداتهم.

كنـــت أقـــول لنفســـي : "إذا كـــان موســـى قـــد واجـــه فرعـــون بكـــل تلـــك القـــوة، فلمـــاذا أخشى أنا من كلام الناس وسخريتهم؟"

***

وفـــي قصـــة يـــونس ، وجـــدتُ درسًـــا آخـــر. عنـــدما ابتلعـــه الحـــوت ، لـــم يفقـــد الأمـــل ، بـــل دعا الله وهو في ظلمات ثلاث:

-ظلمـــة بطـــن الحـــوت ، وظلمـــة البحـــر وظلمة الليل.

رفع يونس عليه السلام يديه بالدعاء وقال :

-"لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين."

كانت تلك اللحظة تجسد معنى التوبة الصادقة.

كلما كنت أُحبط من ضعف عزيمتي كنت أستذكر دعاء يونس ، فأرفع يدي إلى الله وأطلب منه القوة والغفران.

هذه القصص لم تكن مجرد حكايات أرويها لنفسي ، بل أصبحت جزءًا من رحلة التغيير.

كنت أشعر أن كل موقف من مواقفهم قد ينعكس على حياتي بطريقة ما ، فكل نبيّ عانى ، وكل نبيّ واجه تحديات ، لكن الله

كـــان معهـــم دائمًـــا ، وكانـــت عاقبـــة الصـــبر والإيمان خيرًا.

بهـذا الشـكل ، لـم يكـن تغييـري مفاجئًـا ، بـل كـــان تـــدرجًا بطيئًـــا ، ومزيجًـــا مـــن الصـــبر والتعلم من تجارب الصالحين.

إلـــى جانـــب قصـــص الأنبيـــاء التـــي كانـــت مـــلاذي الأول فـــي البحـــث عـــن القـــوة والهـــدى ، بـــدأت أبحـــث فـــي تـــاريخ الصـــحابة والعلمـــاء وحتـــى كلمـــات الحكمـــة التي تركها العلماء.

كنـــت أحتـــاج لمصـــدر يلهمنـــي ويـــذكّرني بـــأن الطريـــق إلـــى التوبـــة لـــم يكـــن ســـهلًا لأحـــد وأنني لست وحدي في هذا الصراع.

***

نسمات الادب للنشر الإلكترونى

في إحدى قراءاتي صادفت قولًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه:

-"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم."

كانت هذه الكلمات تذكرني بأن رحلة التوبة تبدأ بالمحاسبة الذاتية ، وأنني بحاجة إلى أن أقيّم أفعالي وأراجع مواقفي.

استوقفتني أيضًا نصيحة أخرى له

-"أخوف ما أخاف على هذه الأمة منافق عليم اللسان." هذا القول علمني أن تغيير السلوك الظاهري ليس كافيًا ، وأن التوبة الحقيقية تنبع من تغيير داخلي عميق.

كما كنت أستمد القوة من كلمات الإمام ابن القيم رحمه الله عندما قال:

-"الصبر عن معصية الله أيسر من الصبر على عذابه." هذه الكلمات جعلتني أتأمل كيف أن الله يعطينا الصبر ليس كعبء ، بل كرحمة ووسيلة للابتعاد عن الخطايا.

كنت أكررها في نفسي كلما واجهت لحظة ضعف ، كأنها بوصلة تذكرني بما هو الأهم.

وجدت أيضًا في كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي فصلاً كاملاً عن التوبة ، حيث يذكر كيف يجب على الإنسان أن يضع نفسه في موقف المستعد للعودة إلى الله بكل صدق.

تحدث عن أن التوبة تشمل ترك الذنوب والشعور بالندم ، والعزم على عدم العودة ، وأدركت حينها أن هذه الخطوات الثلاث هي ما كنت أحاول تحقيقه وأني بحاجة للتأمل فيها يوميًا.

***

لم تقتصر رحلتي على الكتب الدينية فقط؛ قرأت أيضًا في الأدب ، ووجدت في بعض الكتب كلمات عميقة تشجع على النظر داخل النفس ، مثل قول الكاتب الروسي تولستوي:

-"الجميع يفكر في تغيير العالم ، لكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه." أثرت هذه العبارة فيّ ، وبدأت أرى التغيير رحلة تبدأ من الداخل.

عندما كنت أجلس في المسجد ، كنت أستمع إلى قصص بعض الأشخاص الذين عادوا إلى الله بعد معاناتهم مع صعوبات كبيرة.

هذه القصص كانت تعلمني أن الله يقبل التوبة مهما كان الماضي ثقيلاً ، وأن الهداية قد تأتي من أضعف اللحظات.

بدأت أتقرب إلى أشخاص عايشوا هذه التجارب ، وأخذت منهم الإلهام ، حيث كانوا يقولون لي إن التوبة ليست هدفًا نصل إليه بسرعة ، بل هي طريق نسير فيه بثبات.

هذه المصادر وغيرها كانت بمثابة الوقود لروحي ، تُعطيني القوة للاستمرار والتشبث بحلمي في أن أحقق

مـــا يفيـــدني ويضـــيف إلـــى رصـــيدي يـــوم الحساب.

***

بـــدأت رحلتـــي بترقـــب النـــاس مـــن حـــولي ونظـــراتهم التـــي تحمـــل التســـاؤل والســـخرية لكننـــي ســـرعان مـــا وجـــدت نفســـي أمـــام ســـؤال أعمـــق : " مـــن أنـــا حقًـــا؟ ولمـــاذا وُجـــدت هنـــا؟ كـــان هـــذا الســـؤال يتـــردد فـــي ذهنـــي مـــرارًا وتكـــرارًا ، حتـــى لـــم أعـــد أستطيع الهروب منه.

شـــعرت أن رحلتـــي لـــم تكـــن مجـــرد محاولـــة للابتعـــاد عـــن أخطـــاء الماضـــي ، بـــل هـــي بحـــث عـــن غايـــة أعمـــق مـــن وجـــودي فـــي هذه الدنيا.

تذكرت آية قرآنية قد سمعتها يومًا

"كل نفسٍ ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة." كنت أُدرك أنني، ككل إنسان ، سأسلك هذا الطريق يومًا ما ، وأن حياتي هنا ما هي إلا جسر مؤقت إلى دار الخلود.

تساءلت حينها: "هل أستغل هذا الوقت القصير بما ينفعني؟ وهل حققت معنى وجودي كما أراده الله لي؟"

في خضم هذا البحث ، صادفت قولًا يُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

-"رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه."

بدأت أتأمل في هذا القول ، وأدركت أن معرفة النفس ليست فقط اكتشاف مواهبها وقدراتها ، بل هي الاعتراف

أيضًا بنقاط الضعف ، والعمل على تهذيب الروح.

كانت هذه الحكمة تُعيدني إلى نقطة البداية، لأعيد النظر في أفعالي وأفكاري وأدرك أن عليّ أن أكون صادقًا مع نفسي قبل أن أكون صادقًا مع الآخرين.

***

بينما كنت أبحث عن معنى لحياتي أدركت أن الدنيا قد تكون مغرية ، وقد تبدو مليئة بالفرص والمغريات ، لكن كل شيء فيها زائل ، وأن السعي وراء الشهرة أو المال ليس هو الغاية الحقيقية.

سألت نفسي : "هل خلقت لأبني اسمي في الدنيا، أم لأبني رصيدًا صالحًا أقدمه

يـــوم الحســـاب؟ كانـــت تلـــك اللحظـــة بالنســـبة لـــي بمثابـــة نقطـــة تحـــول ، فقـــد بـــدأت أرى أن الســـعي الحقيقـــي هـــو بنـــاء الـــنفس علـــى الصدق ، والعطاء ، والسعي للخير."

هذا السؤال الوجودي

لمـــاذا نحـــن هنـــا؟ لـــم أجـــد لـــه إجابـــة كاملـــة لكنه أعطاني اتجاهًا.

أصـــبحت أعـــيش كـــل يـــوم محـــاولاً أن أكـــون أفضـــل ممـــا كنـــت عليـــه فـــي اليـــوم الـــذي ســـبقه ، أن أســـاعد الآخـــرين بمـــا أســـتطيع وأتـــرك أثـــرًا طيبًـــا ، لعلـــي أجـــد فيـــه شـــيئًا يضـــيف لرصـــيدي حـــين أقـــف أمـــام الله يومًا.

كـــان الســـؤال حـــول غـــايتي فـــي الحيـــاة قـــد أشـــعل بـــداخلي رغبـــة فـــي أن أفعـــل شـــيئًا لـــه

معنـــى ، فقـــررت الانخـــراط فـــي العمـــل التطوعي.

بـــدأت أنظـــر إلـــى المجتمـــع حـــولي وأرى فيـــه وجوهًـــا لمســـت فـــيهم حـــاجتهم للـــدعم وأصواتًا تردد معاناتها بصمت.

كانـــت تلـــك اللحظـــة التـــي دفعتنـــي للتوجـــه نحـــو الجمعيـــات المحليـــة ، حيـــث شـــعرت بـــأن العمـــل التطـــوعي قـــد يكـــون بدايـــة لتقديم شيء مفيد.

***

انضـــممت إلـــى أول جمعيـــة قريبـــة مـــن الحـــي وهـــي جمعيـــة تهـــتم بمســـاعدة الأســـر المحتاجة.

كـــان هـــدفي الأول هـــو الـــتعلم ، لكننـــي وجـــدت نفســـي ســـريعًا جـــزءًا مـــن الأنشـــطة والمبادرات التي تنظمها الجمعية.

كنـــا نقـــوم بتوزيـــع المـــواد الغذائيـــة ، ونتفقـــد أحـــوال العـــائلات ، ونســـتمع إلـــى قصصـــهم التـــي تحكـــي واقعًـــا مليئًـــا بالتحـــديات والصعوبات.

شـــعرت أن كـــل لقـــاء مـــع هـــؤلاء النـــاس كـــان يعطينـــي درسًـــا جديـــدًا فـــي التواضـــع وأدركـــت أن الله يختبرنـــا لـــيس فقـــط بمالنـــا وصـــحتنا ، بـــل برحمتنـــا ومســـاعدتنا للآخرين.

***

لم يكن العمل سهلًا ، كنت أرى الفقر عن قرب وأحس بثقل المعاناة في عيون الناس.

لكن في كل مرة أقدم يد العون ، كنت أشعر بنوع من السلام الداخلي ، كأنني أقترب أكثر من الإجابة التي كنت أبحث عنها.

وفي لقاءاتي مع أعضاء الجمعية تعلمت من تجاربهم كيف يتعاملون بإخلاص وصدق ، وكيف أن حياتهم المليئة بالتطوع والعطاء كانت مليئة أيضًا بالقناعة والرضا.

لاحقًا ، انضممت إلى جمعية أخرى تعنى بتعليم الأطفال الأيتام.

كنت أقضي أوقاتًا طويلة في تعليمهم القراءة والكتابة ، وفي الحديث معهم عن أحلامهم وطموحاتهم.

بدأت أرى في هؤلاء الأطفال صورة بريئة ، تحتاج إلى رعاية وإلهام ، وكنت أعتبر كل لحظة معهم فرصة لأترك أثرًا إيجابيًا في حياتهم.

كان الأطفال يجعلونني أستشعر المعاني الحقيقية للحياة ، فالتعليم ليس مجرد كتابة على الورق ، بل هو زراعة للأمل في النفوس.

***

كان لهذه التجربة أثر عميق في قلبي لقد دفعتني للتفكير بعمق في الرسالة التي أرغب في تركها وراءي ، وكنت

أعـــود كـــل ليلـــة إلـــى بيتـــي وأقـــول لنفســـي:"ربما هـــذا هـــو الســـبب الـــذي جئـــت مـــن أجلـــه إلـــى هـــذه الـــدنيا ، أن أكـــون نـــورًا بسيطًا في حياة شخص آخر."

فـــي خضـــم انشـــغالي بالنشـــاطات التطوعيـــة كنـــت أحـــرص علـــى عـــدم تجاهـــل الجانـــب الروحي في حياتي.

كلمـــا عـــدت إلـــى منزلـــي بعـــد يـــوم طويـــل مـــن العمل

كنت أخصص وقتًا لقراءة القرآن.

كنـــت أعتبـــره بمثابـــة راحـــة للروحـــي ونـــورًا يضـــيء طريقـــي فـــي هـــذه الحيـــاة.

كانـــت لـــدي عـــادة تخصـــيص ورد يـــومي حتـــى لـــو كـــان ذلـــك لفتـــرات قصـــيرة ، لكننـــي كنت أُحاول أن أكون مخلصًا في ذلك.

أخذت أختار سُوَرًا تتحدث عن الصبر والتوكل على الله ، مثل سورة "الإنشراح" وسورة "البقرة".

كانت تلك الآيات القرآنية تحثني على الثبات وتعزيز إيماني ، وكنت أجد فيها القوة التي أحتاجها لمواجهة التحديات اليومية.

كانت الأحاديث النبوية والأقوال الحكيمة تنقش في ذهني أهمية الذكر وتلاوة القرآن كوسيلة للتواصل مع الله وكطريق لطلب الهداية.

***

كما كنت أستغل لحظات الهدوء في المنزل لأتأمل في معاني الآيات التي أقرأها ، وأحاول أن أستخلص منها العبر

والـــدروس التـــي يمكننـــي تطبيقهـــا فـــي حياتي اليومية.

كلمـــا قـــرأت ، كنـــت أشـــعر بـــأنني أقتـــرب أكثـــــر مـــــن الله ، وأدرك أن أعمـــــالي لا تكتمـــل إلا إذا كانـــت مرتبطـــة بحـــب الله ورضاه.

كانـــت هـــذه اللحظـــات تمنحنـــي شـــعورًا بالســـكينة ، وكـــأنني أســـتمد طـــاقتي الروحيـــة مـــن القـــرآن لأكمـــل مســـيرتي فـــي العمل التطوعي.

تلـــك الســـاعات التـــي كنـــت أخصصـــها للقـــرآن كانـــت تشـــكل لحظـــات تجديـــد للقـــوة وأحيانًـــا كنـــت أجـــد نفســـي أقـــرأ آيـــات تتحـــدث عـــن التوبـــة والرحمـــة ، وكأنهـــا كانـــت رسالة موجهة لي.

كانت تلك الكلمات تذكّرني بأن التوبة ليست مجرد كلمات تقال ، بل هي عمل يستمر ويُترجم إلى أفعال على الأرض.

بهذه الطريقة ، كنت أحاول أن أوازن بين الالتزام بالأنشطة التي تعود بالنفع على الآخرين وبين التعمق في العلاقة الروحية مع الله ، مؤمنًا بأن كل عمل أقدمه يجب أن يكون مقرونًا بإيمان قوي ورؤية واضحة للهدف الذي أسعى إليه في حياتي.

***

مع مرور الوقت ، بدأت ألاحظ تغيرًا تدريجيًا في نفسي.

أصبح الحماس للعمل التطوعي جزءًا لا يتجزأ من حياتي ، لكن ما كان يدفعني

أكثر هو الشعور بالتواصل مع الله من خلال هذه الأعمال.

كنت أرى كل ابتسامة تُرسم على وجه طفل وكل شكر يُقال من أسر محتاجة كان كأنه دعاء يُرفع إلى السماء.

بينما كنت أعمل على تحسين حياة الآخرين ، كنت أجد أن الله يُحسن إليّ أيضًا.

أحيانًا ، كنت ألتقي بأشخاص كانوا لي بمثابة معلمين ، كل واحد منهم يحمل في طياته حكمةً أو تجربةً تعلمني شيئًا جديدًا.

حدثني أحد أعضاء الجمعية ذات مرة عن أهمية الصبر في فعل الخير ، وكيف أن النتائج لا تظهر دائمًا سريعًا.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

قال لي :

-"التغيير يحتاج وقتًا ، لكن بالإصرار والنية الصادقة ، ستأتي النتائج يومًا ما."

كانت كلماته بمثابة دعوة للاستمرار ولم أعد أشعر بالإحباط عندما لا تظهر النتائج فورًا.

***

ومع مرور الأيام ، كنت ألاحظ أن مجرد تقديم المساعدة ليس كافيًا.

بدأت أُفكر في كيفية دعم هؤلاء الأشخاص بطريقة تتجاوز الاحتياجات اليومية.

تـــذكرت تجربـــة أحـــد أصـــدقائي الـــذين انخرطـــوا فـــي مشـــاريع صـــغيرة لمســـاعدة الأسر على الاكتفاء الذاتي.

قـــررت أن أســـعى لبـــدء مبـــادرة تشـــجع علـــى الـــتعلم المهنـــي ، لتعلـــيم الحـــرف والمهـــن للأشـــخاص الـــذين كـــانوا بحاجـــة إلـــى فـــرص عمل.

كانـــت هـــذه الفكـــرة بمثابـــة شـــعاع أمـــل لـــيس فقـــط للأشـــخاص المحتـــاجين بـــل لـــي أيضًا.

بـــدأت أبحـــث عـــن المتطـــوعين الـــذين لـــديهم خبـــرات فـــي مجـــالات مختلفـــة ، وبـــدأت بالتعـــاون مـــع الجمعيـــات الأخـــرى لتـــوفير ورش عمـــل لتعلـــيم المهـــارات الحياتيـــة.

كنـــت أشـــعر بحمـــاس شـــديد عنـــدما كنـــت

أرى المشاركين يستفيدون من هذه الفرص ، ويكتسبون الثقة في أنفسهم.
كان لهذه اللحظات أثر عميق في نفسي حيث أدركت أن العمل الجماعي يمكن أن يُحدث فرقًا حقيقيًا في المجتمع.
مع ذلك ، كنت أدرك أن البذور التي نزرعها اليوم قد لا تُثمر في الحال ، لكن الإيمان بأننا نساهم في بناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة كان يعطيني القوة للاستمرار.
كما كنت أُعيد التأكيد على أهمية التواصل مع الله في كل خطوة ، وفي كل مشروع نبدأ به.
كلما واجهت صعوبات ، كنت أعود إلى القرآن وأتذكر الآيات التي تتحدث عن

الثبات في العمل ، وكيف أن الله يرزق الذين يسعون في الأرض.

كانت هذه الكلمات تُعزيني وتمنحني طاقة جديدة ، تجعلني أشعر بأنني لست وحدي في هذه الرحلة.

وأثناء تلك الرحلة ، أصبحت أُدرك أن العمل الخيري ليس مجرد نشاط ، إنه أسلوب حياة ، ينعكس في كل ما نقوم به.

بدأ يظهر أمامي هدف أكبر ، وهو أن أكون جزءًا من تغيير حقيقي ، وأن أُساهم في بناء مجتمع متعاون ، يتمتع بالأمل والإيمان.

ومع كل خطوة أُخطوها ، كانت روحي تنمو ، وأصبح قلبي أكثر انفتاحًا

مُـــدركًا أن الحيـــاة ليســـت مجـــرد لحظـــات نعيشـــها ، بـــل هـــي تجربـــة مُســـتدامة نســـعى فيهـــا لتقـــديم الأفضـــل لأنفســـنا ولمـــن حولنا.

بينمـــا كنـــت أســـتمر فـــي العمـــل التطـــوعي كـــان هنـــاك بُعـــد روحـــي أحتـــاج إلـــى استكشافه.

فقـــد شـــعرت برغبـــة عميقـــة فـــي الـــتعلم والاقتـــراب مـــن القـــرآن ، وهـــذا مـــا قـــادني إلى التفكير في حفظه.

تذكرت الحكمة التي تقول:

"أجمـــل مـــا فـــي الحيـــاة هـــو القـــرب مـــن القرآن."

كانـــت هـــذه الحكمـــة دافعًـــا قويًـــا لـــي لأبـــدأ رحلة جديدة نحو الحفظ.

وبالفعل ، قررت الانضمام إلى مركز لتحفيظ القرآن.

كانت البداية شاقة ، حيث تطلب الأمر مني تنظيم وقتي بين الأنشطة التطوعية ودراسة القرآن.

لم يكن الأمر سهلاً ، فقد كانت بعض الآيات تستغرق مني وقتًا طويلاً في الحفظ ، لكني كنت مصممًا على تحقيق الهدف.

***

في أول أيام حضوري إلى المركز استقبلني المعلم بابتسامة دافئة.

كان يعرف أهمية كل طالب ، وقد بدأ الدروس بتوجيهات واضحة حول كيفية

استخدام الأساليب المختلفة لتسهيل الحفظ.

كنت أستمع إليه بشغف ، وبدأت أشعر أنني في مكان ينشر فيه النور والإيمان.

كنت أخصص أوقاتًا بعد الحصص لأكرر الآيات التي تعلمتها ، وفي الليل كنت أستغل الوقت قبل النوم لمراجعتها.

في بعض الأحيان ، كنت أجد نفسي أقرأ الآيات بتمعن ، أستشعر معانيها وأتأمل في قصص الأنبياء التي تحملها.

كانت هذه القصص تلهمني وتُحفزني على تحقيق أحلامي ، وتُذكرني بمعاني الصبر والثبات.

***

مع مرور الأسابيع ، بدأ الحفظ يتحول من مجرد كلمات إلى جزء لا يتجزأ من حياتي.

أصبحت آيات القرآن تتردد في ذهني في كل لحظة، سواء كنت في المسجد أو خلال العمل التطوعي.

كنت أستمد من القرآن القوة والدافع لمواصلة ما بدأت به.

ثم جاء يوم خاص عندما أعلنت إدارة المركز عن مسابقة لحفظ القرآن.

كان ذلك بمثابة تحدٍ جديد بالنسبة لي لكنه كان أيضًا فرصة لقياس تقدمي.

كانت المنافسة قوية ، لكنني كنت مصممًا على الاستمرار.

وبعد أسابيع من التحضير ، جاء يوم المسابقة ووقفت أمام لجنة التحكيم وأنا أشعر بمزيج من القلق والثقة.

قرأت آياتٍ من سورة البقرة ، وسرعان ما انطفأت كل مشاعري السلبية أمام روح الإيمان التي ملأت قلبي.

بعد النجاح في المسابقة ، حصلت على لقب إمام في المركز، وكانت تلك اللحظة واحدة من أسعد لحظات حياتي.

بدأت أُدرك أن هذه الرحلة كانت تتجاوز مجرد حفظ القرآن ، كانت تُمثّل التزامًا عميقًا بتعليم الآخرين ونشر القيم القرآنية في المجتمع.

أصبحت أقرأ القرآن في المسجد وشعرت بأن كل ركعة في الصلاة تحمل لي فرصة جديدة للتواصل مع الله.

كان يحضر المصلون من مختلف الأعمار ، وكانوا ينظرون إليَّ بشغف وتقدير.

وأدركت أن كلماتي ليست مجرد ألفاظ تُقال ، بل هي رسائل تعبر عن الحب والخير.

بجانب ذلك ، أصبحت أشارك في تنظيم الدروس القرآنية بالمسجد ، حيث كنت أُعلم الأطفال أساسيات القراءة والكتابة وأحثهم على حب القرآن.

كانت هذه اللحظات تحمل لي الكثير من الدروس ، وشعرت بسعادة كبيرة عندما

كنـــت أرى الأطفـــال يســـتمتعون بـــالتعلم وتبدأ شغفتهم للقرآن في الظهور.

بهـــذا الشـــكل ، كنـــت أُدرك أن الطريـــق إلـــى الحفـــظ والإمامـــة لـــيس مجـــرد إنجـــاز شخصـــي ، بـــل هـــو مســـؤولية أكبـــر تتطلـــب التزامًا مستمرًا وعطاءً دائمًا.

كنـــت أســـعى لأن أكـــون نـــورًا فـــي حيـــاة الآخـــرين ، وأتمنـــى أن يســـاهم كـــل مـــا أقدمـــه فـــي بنـــاء مجتمـــع متماســـك يُعلـــي مـــن قيم الخير والتسامح.

***

مـــع كـــل خطـــوة كنـــت أخطوهـــا فـــي هـــذه الرحلـــة ، شـــعرت بـــأنني أُســـهم فـــي بنـــاء شيء أكبر من نفسي.

كـــان هنـــاك شـــعور عميـــق بالامتنـــان يغمرنـــي كلمـــا شـــاهدت الأثـــر الإيجـــابي الـــذي تتركـــه الأعمـــال التطوعيـــة والـــدروس التـــي أُقدمها.

أصـــبحت أرى كـــل موقـــف صـــعب يتطلـــب مني التحدي كفرصة للتعلم والنمو.

لم يكن الطريق دائمًا سهلاً.

كانـــت هنـــاك لحظـــات شـــعرت فيهـــا بـــالقلق والإحبـــاط ، خاصـــة عنـــدما كنـــت أشـــعر بـــأن التقدم بطيء.

لكننـــي كنـــت أعـــود إلـــى نفســـي وأســـأل : "مـــا الهدف من كل هذا؟"

كنـــت أبحـــث عـــن إجابـــات فـــي القـــرآن وفـــي الحيـــاة اليوميـــة ، وأدركـــت أن الإجابـــة

تكمن في النية الصادقة والعطاء المستمر.

كُنت أُذكر نفسي بأننا هنا في هذه الدنيا لنُسهم في الخير ونترك أثرًا طيبًا في قلوب الآخرين.

في تلك الأثناء ، كنت أخصص وردًا يوميًا من القرآن.

كنت أجد في تلك اللحظات متعة وسلامًا لا يُضاهى.

كنت أُعيد قراءة الآيات التي تحمل معاني الصبر والأمل ، وأشعر أن كل كلمة كانت تنبض بالحياة.

كان ذلك بمثابة وقود يُشعل في روحي شعلة الإيمان ، ويرشدني إلى كيفية مواجهة التحديات اليومية.

وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة ، بينما كنت أستعد للنوم ، تذكرت قصة النبي أيوب عليه السلام.

تلك القصة التي تحمل في طياتها معاني الصبر والثبات في وجه المحن.

استلهمت من صبره قوة لمواجهة الصعوبات التي كنت أواجهها ، وفهمت أن الحياة ليست دائمًا مليئة بالنجاحات بل تحتاج إلى التحدي والإصرار.

***

في هذه الأثناء ، كنت أُدرك أهمية الانخراط في الأنشطة المجتمعية ، لذا قررت توسيع نطاق مشاريعي.

بدأت أتعاون مع الجمعيات الخيرية المحلية في تنظيم حملات توزيع السلال

الغذائيـــة ، حيـــث كنـــا نـــوزع الطعـــام علـــى الأسر المحتاجة.

وكانـــت لحظـــات العطـــاء هـــذه تُشـــعرني بســـعادة كبيـــرة ، وكـــأنني أُعطـــي جـــزءًا مـــن روحي للآخرين.

كمـــا قـــررت أن أُعـــزز مـــن مهـــاراتي القياديـــة مـــن خـــلال الالتحـــاق بـــدورات تدريبيـــة فـــي القيادة وإدارة المشاريع.

كنـــت أُؤمـــن بـــأن القـــدرة علـــى إدارة الفـــرق وتحفيـــز الآخـــرين كانـــت جـــزءًا أساســـيًا مـــن تحقيق الأهداف.

كنـــت أرى نفســـي كحلقـــة وصـــل بـــين الله والمجتمـــع ، وكـــان ذلـــك يلهمنـــي لأكـــون أفضل.

في كل مرة كنت أعود فيها إلى المنزل كنت أخصص وقتًا للصلاة والتأمل.

كانت تلك اللحظات هي الأكثر خصوصية لي ، حيث كنت أشعر بوجود الله من حولي ، أطلب منه التوفيق وأستغفر عن أي تقصير.

كنت أشعر كأنني أقف أمام محكمة الله مُحاسبًا نفسي عن كل عمل قمت به.

استمرت رحلتي نحو الإيمان والنمو الشخصي ، ومع مرور الوقت بدأت أرى تغيرات ليست فقط في نفسي بل في حياة من حولي.

الأثر الذي تركته في المجتمع بدأ يثمر وبدأت أرى الشباب والأطفال يستجيبون للرسالة التي كنت أسعى لنشرها.

ومع ذلك ، كنت أعلم أن الطريق لا يزال طويلاً ، وأنني بحاجة إلى الاستمرار في التعلم والنمو.

لكنني كنت مُدركًا أن كل خطوة أُخطوها وكل عمل أقدمه ، كان جزءًا من خطة الله ، وأنني سأظل أبحث عن السبل التي تجعلني أكون أكثر فائدة لنفسي وللآخرين.

***

مرت السنوات ، وبدأت أرى ثمار الجهود التي بذلتها.

كنت أُدرك أن التغيير الذي كنت أسعى إليه لم يكن مجرد تغيير سطحي ، بل كان تغييرًا عميقًا يتطلب الصبر والاستمرارية.

مع كل يوم ، كنت أرى الوجوه المُشرقة لأشخاص تأثروا بالأعمال التي قمت بها وكنت أشعر بسعادة غامرة عندما كنت أسمع عن نجاحاتهم.

قررت أن أكتب كتابًا عن تجاربي ، كنوع من الشهادة لمن يسعى للتغيير في حياته.

كان الهدف من الكتاب هو مشاركة الأفكار والقيم التي اكتسبتها ، وكيف يمكن لكل شخص أن يُحدث تأثيرًا إيجابيًا في مجتمعه.

كنت أُريد أن أُشجع الآخرين على أن يؤمنوا بأن التغيير ممكن ، وأن لكل واحدٍ منا القدرة على أن يكون جزءًا من هذا التغيير.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

في أحد الأيام ، بينما كنت أراجع بعض الأوراق في مكتبي ، جاء إلي أحد الشباب من الجمعية.

كان يحمل في عينيه طموحًا وإرادة قوية لكن كان لديه العديد من التساؤلات حول كيفية بدء رحلته في العمل الخيري.

جلست معه وتحدثنا طويلًا ، واستعرضنا معًا الأفكار والمشاريع التي يمكنه الانطلاق بها.

كان شغفه وحماسه يُعيدان إليّ ذكريات بداياتي ، وكنت أدرك أن الجيل الجديد يحمل في طياته الأمل لمستقبل أفضل.

في تلك اللحظات ، أدركت أن مسؤولياتي لم تنتهِ بعد.

كانت هذه بداية جديدة ، حيث كان يتوجب عليّ أن أكون مرشدًا وملهمًا لمن حولي.

بدأت أُخطط لبرامج تدريبية للشباب حيث كُنت أُعلمهم كيفية الانخراط في العمل التطوعي وتطوير مهاراتهم القيادية.

ومع ذلك ، كنت أعلم أن النجاح لا يأتي إلا بفضل الله.

وفي كل مرة كنت أبدأ فيها مشروعًا جديدًا ، كنت أُخصص وقتًا للصلاة والدعاء، أطلب من الله أن يوفقني في سبيلي.

كُنت أدرك أن الإخلاص في النية والعمل هو ما سيُثمر ، وأن الله دائمًا يُبارك الجهود الصادقة.

***

انتهت رحلتي الطويلة نحو الحفظ والإمامة، ولكنها لم تنتهِ تمامًا.

كنت أعيش كل يوم بإيمان جديد ورغبة في الاستمرار.

وكانت كل تجربة تُضيف لي بُعدًا جديدًا في فهم الحياة والإنسانية.

ومع كل خطوة أُخطوها ، كنت أُدرك أنني ما زلت في حاجة إلى التعلم ، وأن رحلتي ستستمر دائمًا.

مع مرور الوقت ، أدركت أن دور الإمام لا ينحصر في تلاوة الآيات وتوجيه

النصائح فقط ، بل يتجاوز ذلك إلى بناء جسور مع الناس ودفعهم للتفكير بعمق في أهدافهم ودورهم في المجتمع.

كنت أطرح على نفسي سؤالاً متجددًا:"كيف يمكنني أن أُحدث تغييرًا أعمق وأكثر استدامة؟"

بدأت أدرس أفكارًا حول التنمية البشرية المستمدة من القيم الدينية ، ووجدت في ذلك طموحًا لإيجاد طرق تربط بين العقيدة والنمو الشخصي.

قررت إنشاء ورشات تجمع بين تعلم العلوم الدينية والمهارات الحياتية ، مثل إدارة الوقت ، وتطوير الذات وفهم العلاقات الأسرية.

كانت الفكرة أن أُعلم الشباب كيف يربطون بين تعاليم القرآن وحياتهم اليومية.

تواصلت مع أساتذة وأئمة آخرين وبدأنا نخطط لسلسلة من الندوات المفتوحة حيث يتمكن الشباب من التعبير عن آرائهم ومشاركة قصصهم وتحدياتهم.

كانت هذه الجلسات أكثر من مجرد تعليم فقد منحتنا فرصة لفهم احتياجات الجيل الجديد وآمالهم ، وأظهرت لنا كيف يُمكن للدين أن يكون عنصرًا داعمًا في رحلتهم نحو تحقيق أحلامهم.

في إحدى الأمسيات ، وبينما كنت أُراجع ملاحظات الندوات والورشات التي

أقمناهـــا ، شـــعرت بحاجـــة إلـــى توســـيع المشروع.

أدركـــت أن التحفيـــز الحقيقـــي للشـــباب يحتـــاج إلـــى منظومـــة تجمـــع بـــين الفكـــرة والإرشاد والتجربة العملية.

لـــذا ، طرحـــت فكـــرة إقامـــة "معهـــد التنميـــة الروحيـــة والاجتماعيـــة" ، مكـــان يســـتطيع فيـــه الشـــباب الجمـــع بـــين تعلـــم العلـــوم الدينية وتطوير مهاراتهم الحياتية.

انطلقـــت فـــي البحـــث عـــن فريـــق عمـــل يـــؤمن بالفكرة.

***

بعـــد فتـــرة مـــن التحضـــير والمناقشـــات بـــدأنا فـــي تأســـيس المعهـــد ، واســـتقبلنا أول فوج من الشباب.

كنـــا نُعلمهـــم أصـــول الـــدين بجانـــب كيفيـــة إدارة حياتهم وتحقيق أهدافهم.

وكنـــا نركـــز علـــى قصـــص الصـــبر والإيمـــان مثـــل قصـــة يوســـف عليـــه الســـلام ، وكيـــف اســـتطاع تجـــاوز الصـــعاب عبـــر الإيمـــان والأمل.

فـــي نهايـــة كـــل أســـبوع ، كنـــا نعقـــد جلســـات مفتوحـــة ، نتحـــاور فيهـــا حـــول التحـــديات التـــي يواجههـــا الشـــباب ، ونســـعى لخلـــق بيئة تدعمهم وتدفعهم للتطور.

***

مـــع مـــرور الأســـابيع ، بـــدأتُ ألاحـــظ تحـــولًا عميقًـــا فـــي نفـــوس الشـــباب الـــذين التحقـــوا بالمعهد.

كانـــت لقاءاتنـــا تفـــيض بالمشـــاعر الصـــادقة حيـــث كـــان الشـــباب يتشـــاركون تجـــاربهم بصـــــراحة ، يتحـــــدثون عـــــن أحلامهـــــم ومخـــاوفهم وكنـــت أدرك أن دور الإمـــام لـــم يعـد دورًا تقليـديًا بـل أصـبح بمثابـة المُرشـد والحاضن لهم.

***

فـــي إحـــدى الجلســـات ، ســـألني أحـــد الشـــباب سؤالًا عميقًا:

-"لماذا نحن هنا؟".

كـــان الســـؤال بســـيطًا ، لكننـــي شـــعرت بثقلـــه. تأملـــت فـــي الإجابـــة قلـــيلًا ، ثـــم شـــاركتهم جـــزءًا مـــن رحلتـــي ، وكيـــف أن البحـــث عـــن معنـــى أعمـــق فـــي الحيـــاة هـــو مـــا أعطـــاني القوة للاستمرار.

حكيت لهم عن ليالٍ قضيتها في تدبر آيات الله ، وعن الأوقات التي عشت فيها تأملات طويلة ، بحثًا عن الغاية من وجودنا.

بدأت أدرك أن الشباب يحتاجون إلى أكثر من المعرفة الدينية ، يحتاجون إلى رحلات روحية تجعلهم يكتشفون أنفسهم.

قررنا بدء برنامج جديد أطلقنا عليه "لقاءات الصدق" ، حيث ننطلق في رحلات بين الطبيعة ، ونتأمل في خلق الله ونتحدث عن أهدافنا ومشاعرنا بلا حواجز.

كـــان الهـــدف أن يعيشـــوا تجربـــةً روحيـــةً تتجـــاوز الكـــلام ، ويشـــعروا بجـــوهر القـــرب من الله بعيدًا عن صخب الحياة.

فـــي هـــذه اللقـــاءات ، كنـــا نخصـــص جـــزءًا مـــن الوقـــت للتفكـــر الفـــردي ، حيـــث يجلـــس كـــل شـــاب فـــي مكـــان هـــادئ ويتأمـــل فـــي حياته.

ثـــم نلتقـــي لنشـــارك مـــا شـــعرنا بـــه ومـــا تعلمناه.

كنـــت أرى فـــي أعيـــنهم بريقًـــا جديـــدًا وبـــدأتُ أشـــعر أننـــي علـــى الطريـــق الصـــحيح أننـــي أُحـــدث فرقًـــا حقيقيًـــا فـــي حيـــاتهم وأُعلمهم كيف يعيشون بروح ملهمة.

مـــع كـــل لقـــاء جديـــد ، كـــان الشـــباب يُظهـــرون تفـــاعلًا أعمـــق مـــع البـــرامج التـــي أعـــددناها.

بـــدأوا يســـتلهمون القـــيم مـــن قصـــص الصـــبر والإيمـــان ، ويـــدركون أن الرســـالة الربانيـــة لا تقتصـــر علـــى العبـــادات ، بـــل تشـــمل بنـــاء الـــنفس وتقويـــة العزيمـــة ، وتثبيـــت الإرادة في وجه التحديات.

لـــم أكـــن فقـــط أرى التغيـــر فـــي حيـــاتهم ، بـــل كنت أعيشه معهم.

خـــلال إحـــدى الجلســـات ، اقتـــرب منـــي شـــاب كـــان هادئًـــا دائمًـــا ، ولـــم يكـــن يُظهـــر الكثيـــر من الحديث.

جلـــس بجـــانبي بصـــمتٍ لفتـــرة ، ثـــم قـــال بصوت منخفض:

-"يـــا شـــيخ، لقـــد أدركـــت أخيـــرًا لمـــاذا أشـــعر بالضياع منذ زمن.

كنت أبحث عن قيمتي في أمور زائلة ونسيت أن الأمان الحقيقي يكمن في علاقتي بالله ، في أن أجد القوة التي لا تنكسر مهما عصفت بي الظروف."

كلماته كانت بمثابة انعكاس للهدف الذي سعيت لتحقيقه ، وكنت أعلم أن رحلتي معه ومع الآخرين ما زالت في بدايتها. كانت رؤيتهم وهم يطبقون ما تعلموه في حياتهم اليومية ، ويعيشون هذه القيم بمثابة النصر الأكبر.

***

مع مرور الوقت ، لم يبقَ تأثير المعهد محصورًا في نفوس الشباب فحسب ، بل بدأت الدعوة تنتشر بين عائلاتهم ومحيطهم.

كان الأهل يرون التحول الإيجابي في أبنائهم ويتساءلون عن مصدره ليبدؤوا بالتواصل معنا ، راغبين في حضور بعض البرامج التي أعددناها.

فتحنا أبواب المعهد لهم ، وقررنا أن نجعل بعض الورش مفتوحة للعائلات ليعيشوا هذه التجربة الروحية مع أبنائهم.

كانت تلك اللقاءات فرصة لتقريب الآباء والأبناء ، لنفهم معًا أن بناء مجتمع صالح يبدأ من العائلة نفسها ، وأن كل فرد فيها يمتلك دورًا حقيقيًا في بناء هذا الصرح.

كنت أرى الشباب وهم يقفون بجانب آبائهم وأمهاتهم ، يُعلمونهم

ويشـــاركونهم تجـــاربهم ، وأدركـــت حينهـــا أن رحلـــة علـــيّ لـــم تكـــن مجـــرد رحلـــة شخصـــية ، بـــل هـــي رســـالة واســـعة تحمـــل تأثيرها للآخرين.

***

اســـتمرت رحلتـــي فـــي طلـــب العلـــم والتعمـــق فـــي القـــرآن ، وكنـــت أحـــاول أن أوازن بـــين عملـــي كإمـــام ومرشـــد للشـــباب ، وبـــين كـــوني طالـــب علـــم يســـعى لتحقيـــق حفـــظ كامل للقرآن وتطبيقه بكل تفاصيله.

فـــي كـــل مـــرة كنـــت أفـــتح فيهـــا المصـــحف كنـــت أشـــعر بروحانيـــة تختلـــف عـــن كـــل مـــرة ســـابقة وكـــأنني أتـــذوق عذوبـــة الكلمـــات مـــن جديـــد ، وكـــأن الله يـــوجهني مباشـــرة ينيـــر لي الطريق بآياته.

لم يكن الطريق سهلًا ، فقد تطلب مني كثيرًا من الوقت والتفرغ ، حتى بتُّ أسهر الليالي بين حفظٍ وتدبر، وبين تساؤلاتٍ عن كيفية تطبيق هذه الآيات في حياتي.

كان وردي اليومي لا يقتصر على القراءة السريعة ، بل كنت أتوقف عند كل آية ، أتأمل في معانيها وأفكر كيف يمكن أن ألهم الشباب بها وكيف أُحيي هذه الكلمات في كل قلب أتواصل معه.

مع مضي الأيام وتوسع نشاطات المعهد بدأت ألاحظ حضور أصدقائي القدامى أولئك الذين كانوا يسخرون من تحولي المفاجئ إلى الدين ، والذين كانوا

يشـــككون فـــي صـــمتي وتـــوبتي وقـــد تجلـــت في عيونهم نظرة جديدة.

كـــانوا يجلســـون فـــي الصـــفوف الخلفيـــة يراقبـــون مـــا يـــدور حـــولهم ، ويصـــغون إلـــى المحاضـــرات ، وكـــأن شـــيئًا بـــداخلهم بـــدأ يتغير.

***

ذات يـــوم، بعـــد إحـــدى الجلســـات ، جـــاء أحـــد أصـــدقائي إلـــيَّ وكـــان أول مـــن ســـخر مـــن محـــاولاتي الســـابقة للتوبـــة وقـــال لـــي بصوتٍ هادئ وحزين:

-"علـــي ، لـــم أتخيـــل يومًـــا أن أكـــون هنـــا أستمع إليك وأستلهم من كلامك.

كنت أعتبر التغيير الذي رأيته فيك مجرد فترة وستنتهي لكن الآن أدركت أنه تحول حقيقي.

ما فعلته أثّر فيّ، وجعلني أفكر في حياتي."

آخرون بدأوا يشاركون تجاربهم وتأثرهم وكان كل منهم يعبر بطريقة مختلفة:

أحدهم ، يُدعى كريم، قال لي بحماس:

-"كنت أرى الدين كقيود تقيد الحرية لكن بعدما رأيتك كيف تعيش دينك بروح إيجابية، وتساعد الناس بكل حب شعرت برغبة في التقرب من الله بطريقة جديدة.

تعلمت منك أن الإيمان ليس خوفًا وعزلة بل هو أمل وتواصل."

أما صديق آخر ، يُدعى أمين فقال لي ذات مساء بعد الجلسة:

-"علي، كنت أظن أنك ستبتعد عنا بمجرد أن تغيرت.

لم أكن أدرك أن التغيير الذي فيك هو دعوة لنا للتغيير كذلك بفضل وجودك استطعت أن أرى الجانب الروحي فيّ الذي لم أكن أعرفه."

هذه الكلمات كانت بالنسبة لي دافعًا أكبر وجعلتني أستشعر أن رحلتي لم تكن فردية ، بل هي رسالة وصلت لقلوب من حولي دون أن أتعمد إيصالها لهم.

شعرت أن ما فعلته لم يكن مجرد تحول

داخلي ، بل نور امتدّ وأثر في من كانوا جزء من حياتي.

مع تزايد نشاطي وتوسّع دائرة تأثيري في المجتمع ، لم يكن الطريق مفروشًا بالورود.

كان بعض أفراد الحي يرونني مثالًا للشاب الملتزم الذي استطاع تجاوز ماضيه ، بينما آخرون نظروا إلى تحولي بشك وسخرية.

بالنسبة لهم ، بدا الأمر كما لو أنني كنت أحاول "تحقيق مكانة" أو "جذب الانتباه"، فكان من الصعب عليهم تصديق أن التغيير كان نابعًا من الداخل من يقظة حقيقية وندم صادق على ما مضى.

ذات يـــوم ، وبينمـــا كنـــت أعقـــد جلســـة فـــي المســـجد اقتـــرب منـــي أحـــد كبـــار الســـن بعـــد أن انتهينـــا وقـــال بصـــوت خافـــت لكنـــه مشحون بالانتقاد:

-"يـــا بنـــي ، لا تظـــن أن العلـــم يؤخـــذ فقـــط مـــن الكتـــب ، وأن كـــل مـــن قـــرأ قلـــيلاً وألقـــى محاضرة بات واعظًا.

إنـــك لا تـــزال شـــابًا ، وأمامـــك الكثيـــر لتتعلمـــه قبل أن تتصدر مجالس الدعوة."

كلماتـــه لـــم تكـــن مجـــرد نقـــد عـــابر ، بـــل كانـــت موجعـــة ، شـــعرت كأنهـــا أصـــابتني فـــي صميم إيماني.

كـــان هـــو نفســـه الشـــخص الـــذي كنـــت أكـــن لـــه الاحتـــرام ، والـــذي كنـــت أســـتمع إلـــى مواعظه منذ صغري.

ليلتهـــا ، لـــم أســـتطع النـــوم، وأخـــذت أفكـــر في ما قاله مرارًا وتكرارًا، متسائلًا:

-هـل كـان محقًـا؟ هـل تسـرعت؟ هـل أنـا حقًـا مستعد لتحمل هذه المسؤولية؟

لـم يكـن ذلـك الموقـف الوحيـد ، فـالكثير مـن الشـباب أيضًـا لـم يتقبلـوا التحـول الـذي طـرأ علـيّ ، معتبـرين أن مـا أقـوم بـه كـان مجـرد "مرحلة مؤقتة".

كانوا يقولون فيما بينهم:

-"علـــي يريـــد أن يصـــبح شـــيخًا بـــين ليلـــة وضحاها! هذا ليس عليّ الذي نعرفه."

***

مـــرّت الأيـــام وأنـــا أجـــد نفســـي فـــي صـــراع دائـــم بـــين مـــا أؤمـــن بـــه ومـــا يســـمعه قلبـــي من أحاديث الناس.

كنت أعود إلى بيتي مرهقًا نفسيًا وأحيانًا أشعر بالإحباط ، لكنني كنت أجد العزاء في القرآن ، حيث كنت أقرأ آيات الصبر ، وأستحضر قصص الأنبياء الذين واجهوا الشك والتحدي من أقرب الناس إليهم ، فكانوا يقابلون ذلك بالصبر والثبات.

وفي إحدى الليالي ، قررت التوجه إلى أستاذي القديم في المسجد ، الذي كان دائمًا مثالًا للحكمة والتواضع.

ذهبت إليه وأخبرته بما أشعر به فتحدث معي بكل هدوء قائلاً:

-"يا علي ، اعلم أن طريق الدعوة ليس سهلًا كلما ارتفعت مكانتك ، زادت التحديات وكلما أخلصت ، اختبر الله

صبرك ، الإيمان ليس مجرد كلمات بل هو ابتلاء وصبر على الطريق."

وبينما كنت أستمع إلى نصائحه ، شعرت بشيء من الراحة.

كانت كلماته تذكرني بأن كل خطوة أخطوها ، سواء كانت مليئة بالثناء أو الانتقاد ، هي جزء من رحلتي نحو الله.

خرجت من عنده وأنا أشعر بالتجدد وأخذت أركز على عملي ومساعدة الناس ، مدركًا أن الطريق سيكون طويلًا وأن الصبر هو مفتاح النجاح.

وهكذا ، كنت أتقدم بثبات غير مكترث بما يقوله البعض بل جعلت من الانتقادات وقودًا يمدني بالعزم والإصرار

متـــذكرًا دائمًـــا أننـــي لســـت وحـــدي ، وأن الله هو المعين لي في هذا الطريق الطويل.

***

مـــع مـــرور الأيـــام ، ازدادت رغبـــة النـــاس فـــي الاســـتماع لـــي رغـــم أن التحـــديات لـــم تختفِ بالكامل.

أصـــبحت ألقـــى دعـــوات مـــن مســـاجد أخـــرى وجمعيـــات شـــبابية ، ودفعنـــي هـــذا الأمـــر إلـــى التفكيـــر أكثـــر فـــي مـــا يمكننـــي تقديمـــه لتلـــك الوجـــوه المترقبـــة ، وفـــي الرســـائل التي ينبغي أن أتركها في قلوبهم.

فـــي إحـــدى الجلســـات ، كنـــت ألقـــي محاضـــرة فـــي مســـجد بقريـــة مجـــاورة ، وعنـــدما انتهيـــت اقتـــرب منـــي شـــاب فـــي مقتبـــل العمـــر بملامح ملؤها التردد ، وقال:

-"أخي علي ، كنت أتجنب القدوم إلى المسجد لفترة طويلة وكنت أشعر أنني تائه... كنت أرى أن الله بعيد عني بسبب ما ارتكبته من أخطاء."

نظرت إليه بابتسامة وقلت له:

-"يا أخي ، الله أقرب إلينا مما نتصور ليس بيننا وبينه سوى توبة صادقة.

أنا لم أكن دائمًا هكذا ، بل مررت بما مررت به أنت ، وشعرت بما شعرت به.

المهم أن تأتي إليه بقلب صادق ، فهو الذي يرحم ويغفر مهما بلغت خطايانا."

تأثر بكلماتي وبدت على وجهه علامات الراحة.

لقد كان هذا الموقف يعيدني إلى ذكرياتي وإلى النقطة التي بدأت فيها رحلتي

مما زادني يقينًا بأن الاستمرار في هذا الطريق يحمل رسالة نبيلة ، ويمنحني فرصة أن أكون جسرًا بين الناس وبين خالقهم.

لكن هذه الرحلة لم تكن سهلة.

ففي بعض الأحيان ، وجدت نفسي أمام مواقف كانت تختبر صدقي وإخلاصي.

مع ازدياد شعبيتي في الحي والمناطق المجاورة ، أصبحت أحيانًا أشعر بنشوة التقدير الذي أراه في عيون الناس وبدأت أتساءل هل أنا أفعل هذا خالصًا لله ، أم أنني بدأت أنجذب لتقدير الناس؟

ذات مرة ، وبينما كنت أستعد لإلقاء خطبة الجمعة شعرت بضيق في قلبي.

دخلت الغرفة الخاصة داخل المسجد وأخذت أفكر في نفسي.

قلت في سري : "يا علي ، تذكر دائمًا لماذا بدأت ، تذكر من أجل من أنت هنا."

وأخذت أردد لنفسي : "اللهم اجعل عملي خالصًا لوجهك الكريم ، لا رياءً ولا سمعة."

قررت حينها أن أخصص يومًا كل أسبوع للقيام بخدمة لا يعلم بها أحد كزيارة دور الأيتام ، ومساعدة الأسر المحتاجة.

كان ذلك تذكيرًا دائمًا لي بأن العمل لله لا يحتاج إلى تقدير البشر ، وأن الرحمة والخدمة التي نقدمها هي بيننا وبين الله.

بعد فترة من الزمن ، كنت أشعر بأنني أحتاج إلى توجيه جديد.

كنت دائمًا أعتبر المعلم القديم ، الشيخ صالح أحد أبرز الشخصيات التي أثرت في حياتي.

كان لديه طريقة فريدة في تناول الأمور وكان دائمًا يدعوني للتفكر في معاني الحياة.

وفي يوم من الأيام ، قررت أن أذهب لزيارته في منزله.

عندما دخلت ، شعرت كأنني عدت إلى زمن الدراسة.

كان يجلس في زاوية غرفته الصغيرة محاطًا بكتب الفقه والتفسير ، بينما كان يقرأ بصوت هادئ.

استقبلني بابتسامة وسرعان ما بدأنا نتحدث عن مسيرتي منذ آخر مرة التقينا فيها.

-"أرى أنك أصبحت إمامًا يا علي هذا شيء يبعث على الفخر لكن هل تساءلت يومًا عن سبب وجودك هنا؟"

سألني االشيخ ، تفاجأت بالسؤال لكنني بدأت أفكر في الأمر.

لم يكن مجرد وجودي في المسجد لتعليم الناس أو قيادة الصلاة.

كان هناك شيء أكبر أجبت :

-"أريد أن أكون قدوة وأن أساعد الآخرين في الاقتراب من الله."

نظر إلي الشيخ صالح بعمق وقال:

-"هـــذا هـــدف نبيـــل ، ولكـــن تـــذكر أن وجودنـــا فـــي هـــذه الـــدنيا لـــيس مجـــرد مســـعى للتغيير.

نحـــن هنـــا لنعـــيش تجاربنـــا ، لننمـــو ونـــتعلم ونساهم في بناء مجتمعنا.

ابحـــث عـــن الحكمـــة فـــي كـــل تجربـــة وســـتجد أن الله يضـــعك فـــي مواقـــف تحتـــاج فيها إلى التأمل."

كانـــت كلماتـــه تـــزرع فـــي قلبـــي بـــذورًا جديدة.

أدركـــت أن كـــل تجربـــة مـــررت بهـــا ، ســـواء كانـــت صـــعبة أو مفرحـــة ، كانـــت جـــزءًا مـــن رحلتي نحو النمو.

بعد لقائي بالشيخ صالح ، قررت أن أخصص وقتًا أكبر للتأمل في حياتي وتجربتي.

***

بدأت أكتب في دفتر يومياتي ، حيث كنت أدوّن أفكاري وتجاربي.

كلما كتبت ، كنت أكتشف شيئًا جديدًا عن نفسي وعن ما يعنيه أن أكون إمامًا.

في إحدى الكتابات ، تذكرت مقولة قرأتها يومًا ما : "الحياة ليست ما يحدث لنا، بل كيف نتفاعل مع ما يحدث."

كانت هذه العبارة تلخص كل ما مررت به.

كل الصعوبات التي واجهتها ، وكل التحديات التي وقفت أمامي ، كانت بمثابة دروس تعلمت منها الكثير.

بدأت أستعرض تجاربي ، وأتذكر كيف أن كل موقف كان يحمل رسالة.

من اللحظة التي بدأت فيها حفظ القرآن إلى التحديات التي واجهتها في المسجد إلى اللحظات التي شعرت فيها بالضعف كانت كلها جزءًا من بناء شخصيتي.

بينما كنت أستعرض تجاربي في دفتر يومياتي ، تذكرت أنني احتفظت بشيء من ماضيَّ القديم ، مخبّأً في صندوق صغير ، أُغلقت عليه الأبواب منذ أول يوم اتخذت فيه قرار التوبة.

كان ذلك الشيء يمثل كل أخطائي ، كل لحظات الضعف والضياع.

في أحد الأيام ، كتبت على ورقة صغيرة تاريخ بداية توبتي ووضعتها بجانب الصندوق ، وكأنني أقمت عهدًا مع نفسي أنني لن أفتح هذا الصندوق مجددًا إلا عندما أحقق التغيير المنشود.

كان ذلك الصندوق بالنسبة لي رمزًا للصراع الذي خضته مع نفسي كان يحوي صورًا ورسائل وشظايا من حياة مضت ، حياة كنت أعلم أنني تركتها وراء ظهري ولكنها بقيت كأثر يلهمني يُذكرني بفضل الله في الهداية ويحفزني على المضي قدمًا.

كنت أعود إلى تلك الورقة التي كتبت فيها تاريخ التوبة ، كلما شعرت بالضعف أو مررت بتحديات عصيبة.
كانت مجرد نظرة على تلك الورقة تمنحني دفعة جديدة ، وتعيد لي الثقة في رحلتي نحو الله.

***

فجأة شعرت بيد خفية تدفعني نحو الصندوق.
شعرت بأن الوقت قد حان لمواجهة الماضي ، لكشف كل ما طوته السنوات من ذكريات.
توجهت إلى الصندوق ، وجلست أمامه لبرهة تتدافع في داخلي مشاعر الخوف والحزن والحنين.

مـــــددت يـــــدي ، رفعـــــت الغطـــــاء بـــــبطء وكـــأنني أزيـــح ســـتارًا يغطـــي ذكريـــاتٍ طواهـــا النسيان.

بـــدأت أقلـــب محتويـــات الصـــندوق ، صـــور قديمـــــة أوراق باليـــــة ، ورســـــائل خطتهـــــا يداي في لحظات الضعف والضياع.

كنـــت أرى فـــي كـــل شـــيء فيهـــا ملامـــح مـــن نفســـي التـــي عاشـــت تائهـــة، متعثـــرة غافلـــة عن طريق الحق.

وفـــي كـــل مـــرة ألـــتقط فيهـــا ورقـــة أو صـــورة كـــان شـــعور النـــدم يتســـرب إلـــى أعمـــاقي.

كنـــت أتحســـر علـــى مـــا فرطـــت فيـــه ، وكيـــف أضـــعت ســـنواتٍ مـــن حيـــاتي دون أن أُدرك معنى الحياة الحقيقية.

وبينما كنت أقلب محتويات الصندوق وقعت عيناي على ورقة صغيرة كانت مطوية بعناية.

فتحتها ببطء ، لأجد أنني كنت قد كتبت فيها آية قرآنية: "وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ".

توقف الزمن في تلك اللحظة ، وكأنني أسمع صدى هذه الآية يتردد في أرجاء الغرفة.

شعرت بالسكينة تتسلل إلى قلبي ، وكأن الله كان قد ترك لي هذه الرسالة في الماضي لأجدها اليوم ، لأعلم أنني لم أكن وحدي في رحلتي.

بينما كانت كلمات الله عز وجل تتردد في ذهني شعرت بقلبي ينبض بإحساسٍ عميق من الارتياح والتوبة.

كنت أنظر إلى الورقة الصغيرة وأدركت أن هذه الآية لم تكن مجرد كلمات نسيتها في غياهب الماضي كانت رسالةً محفوظة ليوم كهذا لتذكّرني بأن الله كان قريبًا مني طوال الوقت ، يرعاني حتى وأنا في أعمق لحظات الضياع.

أغلقت عيني وسالت دمعة خاشعة على وجهي.

تذكرت تلك الأيام التي خلت فيها أن لا خلاص لي ، وأنني قد ابتعدت إلى نقطة اللاعودة.

لكن هذه الآية جاءت لتؤكد لي أن باب الرحمة أوسع من كل خطاياي ، وأن العودة إلى الله متاحةٌ دائمًا ما دمتُ أؤمن بلطفه وعفوه.

وبينما بقيتُ جالسًا أمام الصندوق رأيت حياتي تتكشف أمامي كفيلم يعرض مشاهد من الماضي والحاضر.

شعرت أنني تجاوزت اختبارًا طويلًا وأنني وصلت إلى نقطة من النضج جعلتني أرى عيوبي وأخطائي من منظورٍ مختلف.

لم أعد أرى في الماضي عدوًّا لي ، بل أداةً ساعدتني على النضج والإدراك وها أنا أعود إليه اليوم بوعي مختلف بإيمانٍ أعمق ، وبعهد جديد.

أغلقت الصندوق بعد لحظات من التأمل لكن هذه المرة كان الشعور مختلفًا كنت أعلم أنني أغلقت معه صفحة مظلمة ، وبدأت في المقابل صفحة جديدة ، صفحة مليئة بالأمل واليقين متشبثًا بتلك الآية وكأنها النور الذي يرشدني في طريقي نحو الله.

استلقيت على سريري وبدأت أتذكر حين بدأت أتغير وأتخذ خطوات نحو التوبة كيف كانت عائلتي تمر بحالة من الحيرة والدهشة.

بين ليلة وضحاها ، لم أعد "علي" الذي يعرفونه ، لم أعد ذاك الشاب المتهور الذي ينساق وراء نزواته بل أصبح علي شخصًا يحمل همومًا لم يعهدوها فيه من

قبل يسعى للهدوء ويركض نحو المساجد بدلًا من اللهو.

في البداية كان الاستغراب يملأ ملامحهم كانت والدتي التي لطالما كانت قلقة عليّ تراقبني بحذر ، لم يكن الأمر سهلاً عليها فبين فرحتها بخطواتي الجديدة وشكها العميق حول قدرتي على الثبات كانت تتأرجح بين المشاعر.

كنت أراها تراقبني بصمت ، تتابع تحركاتي ، وتبحث عن دلائل تشير إلى أن التغيير حقيقي ومستدام.

أما والدي فكان أقل تعبيرًا عن مشاعره لكنني كنت أعلم أن في داخله شعورًا بالراحة والفخر ، فقد كان يعتقد أن

التوبـــة هـــي الـــدليل علـــى أننـــي بـــدأت أستوعب دروس الحياة.

***

ذات يـــوم جمعنـــي بـــه حـــديث قصـــير ، فقـــال لـي:

-"علـــي ، كنـــت دائمًـــا أتمنـــى أن أراك علـــى هـــذا الطريـــق لكـــن لـــم أكـــن أجـــرؤ علـــى أن أطلبه منك.

أرجـــو أن يكـــون هـــذا قـــرارك ، ولـــيس فقـــط رد فعل على ما مررت به."

أجبته بثقة:

-"أعلـــم أنكـــم تظنـــون أننـــي قـــد أعـــود إلـــى مـــا كنـــت عليـــه ولكـــن مـــا أعيشـــه اليـــوم هـــو أكثـــر مـــن قـــرار عـــابر إنـــه شـــيء شـــعرت بـــه فـــي

أعمـــاقي ، ورغبـــة حقيقيـــة فـــي تغييـــر مساري."

أمـــا إخـــوتي ، فكانـــت ردود أفعـــالهم متباينـــة الـــبعض مـــنهم عبّـــر عـــن فخـــره وراح يتســـاءل عـــن تجربتـــي ، وكـــان يســـألني عـــن الـــدين وأحكامـــه بشـــكل متكـــرر ، وكأنـــه يطلـــب أن أكـــون قـــدوة لـــه فـــي خطواتـــه الأولى.

أمـــا الآخـــرين ، فكـــانوا مـــا زالـــوا يتعـــاملون معـــي بحـــذر ربمـــا لأنهـــم كـــانوا يخشـــون مـــن احتماليـــة أن أعـــود لطبيعتـــي القديمـــة أو ربمـــا لأنهـــم لـــم يفهمـــوا بعـــد عمـــق هـــذا التغيير.

كلمـــا مـــر الوقـــت ، كـــان الجـــو فـــي بيتنـــا يصبح أكثر هدوءًا.

بـــدأت ألاحـــظ أن التغييـــر الـــذي حـــدث فـــي حيـــاتي قـــد ألقـــى بظلالـــه علـــى علاقـــاتي مـــع كل فرد في الأسرة.

لـــم يكـــن الأمـــر يتعلـــق بـــي فقـــط ، بـــل أصـــبحنا جميعًـــا نبحـــث عـــن التغييـــر فـــي حياتنـــا.

لمســـت تـــأثير ذلـــك فـــي ســـلوكهم االيـــومي والـــدتي بـــدأت تكثـــر مـــن قـــراءة القـــرآن وتـــدعو لـــي باســـتمرار، ووالـــدي صـــار يحـــرص علـــى حضـــور صـــلاة الجماعـــة فـــي المســـجد ، حتـــى إخـــوتي رغـــم اخـــتلاف أعمـــارهم ، كـــانوا يظهـــرون اهتمامًـــا أكبـــر بالدين.

أدركـــت مـــع مـــرور الوقـــت أن التغييـــر لا يـــأتي فجـــأة بـــل هـــو سلســـلة مـــن التـــأثيرات المتراكمـــة ، فالرحمـــة والتوبـــة لـــم تغيرنـــي

أنـــا فقـــط ، بـــل جعلـــت مـــن منزلـــي مكانًـــا يحمـــل بركـــات جديـــدة ، وكـــأن الله قـــد أنعـــم علينـــا بنعمـــة الهدايـــة جميعًـــا ليصـــبح منزلنا أشبه بمرفأ للسكون والاطمئنان.

***

هـــا أنـــا اليـــوم ، أكتـــب آخـــر فصـــول رحلتـــي. لـــم يكـــن الطريـــق نحـــو الله ســـهلاً ، ولـــم تكـــن الهدايـــة نـــورًا اكتســـبته بـــين ليلـــة وضـــحاها. كانـــت رحلتـــي مليئـــة بالتحـــديات ، مليئـــة بالســـقوط والنهـــوض ، بـــالخوف والأمـــل بالندم والتوبة.

كنـــت أتعلـــم شـــيئًا جديـــدًا فـــي كـــل يـــوم ، كيـــف أواجـــه نفســـي كيـــف أكـــون صـــادقًا مـــع الله وكيف أسعى للخير لمن حولي.

عندما أتأمل تلك الأيام ، أجد أن كل خطوة وكل لحظة ضعف ، كانت ضرورية كي أكون ما أنا عليه اليوم. كنت أظن أن التغيير مجرد بداية جديدة لكنني أدركت لاحقًا أن التغيير هو رحلتنا الدائمة نحو الأفضل ، هو إدراكنا أن الله لا يتركنا مهما اشتدت الصعاب ، وأننا في كل ألم وخيبة نقترب أكثر من رحمته.

***

صرت أرى الحياة بعيون جديدة ، وأفهم أن "رصيدنا يوم الحساب" ليس فيما كسبناه من مال أو مكانة ، بل فيما جمعناه من حب الله ، وما قدمناه من عمل صالح.

لـــم تكـــن الهدايـــة مجـــرد خيـــار، بـــل كانـــت حياة جديدة أعيشها كل يوم.

ومـــع هـــذه النهايـــة ، أتـــرك لقلوبنـــا الأمـــل أن تبقـــى تنـــبض بالـــذكر، أن نكـــون مـــن الصـــادقين فـــي مســـيرتنا ، وأن نظـــل نســـير فـــي النـــور حتـــى يـــأتي ذلـــك اليـــوم الـــذي نلقـــى فيـــه الله ونحـــن نحمـــل رصـــيدًا مـــن الإيمـــان والصدق يغنينا عن كل شيء.